الصفات الصوتية المتضادة في اللغة العربية
ـ بين التوصيف والتصنيف ـ

contradictory phonetic traits

ـ Between the description and the classification ـ

أ. محمد بولخطوط، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، الجزائر.

تاريخ الإرسال: 2019/03/30 تاريخ القبول: 2019/05/16 تاريخ النّشر: 2019/06/03

ملخّـــص

تتوزّع أصوات اللغة العربية على مجموعة من الصفات الصوتية، سواءً أكانت لازمة ثابتة في الصوت لا تنفكّ عنه لا في حالة الإفراد ولا في حالة التركيب، أم عرضية غير ثابتة فيه تعتريه حينا وتنفكّ عنه حينا آخر. والصفات الصوتية اللازمة (المتضادة) هي محلّ اهتمام هذه الورقة البحثية.

الكلمات المفتاحية: الصفة الصوتية، الصوت، اللزوم، المتضادّة، غير المتضادّة.

Abstract

The sounds of the Arabic language are distributed over a set of vocal qualities, whether they are necessary or constant in the sound, not in the case of individuality or in the case of installation. The necessary (contrasting) audio qualities are of interest to this paper.

Key words: Sound quality; Sound; Contrast; Non-contrast.

تقديـــــــــم:

تتألّف المنظومة اللغوية لأيّة لغة من سلسلة من الوحدات، انطلاقا من الوحدة الكبرى في المجموعة الكلامية وهي: الجملة، إلى الوحدة الأصغر منها وهي: الكلمة، ومنها إلى أصغر وحدة لغوية ألا وهي الصوت، هذا الأخير الذي يمثّل موضوع علم الأصوات؛ إذ يدرس الأصوات اللغوية من ناحية وصف مخارجها، وكيفية تشكيلها، وصفاتها المختلفة التي يتميّز بها صوت عن صوت آخر، كما يدرس القوانين التي تخضع لها هذه الأصوات في تأثيرها بعضها ببعض عند تركيبها في الكلمات أو الجمل.

في هذه الورقة البحثية سنعالج موضوع الصفات الصوتية المتضادة في لغتنا العربية، هذا وقد يبدو من الوهلة الأولى أنّ الباحث لم يأت بشيء جديد من خلال دراسته لهذا الموضوع، باعتباره متداولا تطرّق إليه الكثير من الباحثين والدارسين من قبل، لكن ما يُكْسِب هذا البحث بالذات قيمة علمية أنّه قد جمع ما كان مشتّتا ومتفرقا هنا وهناك في عمل علمي واحد، بشكل واضح ومبسّط، من شأن ذلك أن يختصر الطريق للدارس وللقارئ على حدٍّ سواء، كما قد يغنيهما عن مشقة البحث في الموضوع بدل الاطّلاع على العشرات من الكتب والمصنّفات حول هذا الموضوع، وهذا هو همّ الباحث ومبتغاه.

وتحقيقا لهذا الهدف، تناولت هذا الموضوع الذي أراه من زاوية أخرى تحليلا لظاهرة لغوية أصبحت اليوم تشكّل خطرا كبيرا يحدّق بمستقبل وسلامة لغتنا العربية، ألا وهي: ظاهرة «عيوب النطق وأمراض الكلام»، ولتوضيح الرؤية أكثر نقدّم مثالا حيّا نوضّح من خلاله هذا الكلام، يقول «عمر بن أبي ربيعة» في أحد أبياته الشعرية:

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً ✤ إنّمَا العَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ[1]

وأنشده «علي بن الجنيد بن فُريدي» قائلا:

وَاسْتَبَدَّتْ مَذَّةً وَاحِدَةً ✤ إنّمَا العَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ[2]

ولو أنّ هذا الأخير كان قد أعطى للحروف حقّها ومستحقّها من المخارج والصفات، لما ألثغ في نطقه لصوت: «الراء» «ذالا»، إذن فاللثغة من عيوب النطق، وهي: «تحوّل اللسان من حرف إلى حرف، فاللثغة التي تعرض للسّين تكون تاء، والتي تعرض للقاف فإنّ صاحبها يجعلها طاء، وأمّا التي تقع في اللام فمنهم من ينطقونها باء، ومنهم من يجعلون النطق بها كافا، والتي تقع في الراء فهي على أربعة أشكال: فالأول بجعل الراء ياءً، والثاني بجعلها غينا، أمّا الثالث فذالًا، والرابع ظاءً.»[3]

ولعلّ من أهمّ الحلول التي يمكن للمتكلّم أن يتخلّص بفضلها من عيوب النطق: إخراج الحرف من مخرجه، وإعطاؤه ما يستحقّ من صفاته اللازمة فيه أو العارضة عنه. فما هو المقصود بالصفة الصوتية، وما علاقتها بالمخرج الصوتي، ثمّ ما هي أنواعها في النظام اللغوي العربي، وما هو المقصود بمصطلح التضاد في الصفات الصوتية ؟

أولا: بين الصفة والمخرج الصوتي:

1 ـ مفهوم الصفة:

يقدّم «مصطفى رجب» تفريقا بسيطا بين النَفَسْ والصوت والحرف وصولا إلى الصفة، مبيّنا بذلك المراحل التي يمكننا من خلالها الوصول إلى صفة الحرف، فيقول: «يراد بالصّفة كيفية تولّد الحرف وخروجه من مخرجه، وذلك لأنّهم يسمّون الهواء الخارج من الرئة إن خرج بطبعه دون أن يحتكّ بأوتار الصوت (نَفَسًا)، فإن وجّه الإنسان بإرادته هذا الهواء إلى أوتار الصوت الموجودة في الحنجرة، فاحتكّ بها وحدث له تموّج وتذبذب مسموع فإنّهم يسمّونه حينئذ (صوتا)، ثمّ هذا الهواء المصحوب بهذه التموّجات الصوتية يتوجّه إلى مقطع من مقاطع الفم أو الحلق؛ أي إلى حيّز محدّد منها، فإذا قرّبه وانحصر فيه تولّد الحرف، ثمّ الكيفية التي يكون عليها مرور هذه التموّجات الصوتية الممزوجة في النَفَسْ بذلك المقطع هي ما تسمّيه بـ (صفة الحرف)، فبالمخرج إذا تُعرف ماهية الحرف ويتولّد شكله ويتحدّد، وبالصفات يحصل التمييز بين الحروف، وخاصة تلك التي تتحدّد مخارجها أو تتقارب.»[4]

إذن، يتبيّن لنا من خلال هذا الكلام أنّ الصفة الصوتية هي الكيفية أو الكيفيات التي تظهر في الحرف أثناء حدوثه في مخرجه، فتميّزه عن غيره من الحروف عمّا اشترك منها معه في موضع النطق، وتتمثّل تلك الكيفيات في أمرين أساسين هما: «تحديد طريقة مرور النَّفَسْ في المخرج عند النطق بالصّوت، وتحديد حالة الوترين الصوتيين في أثناء ذلك.»[5]

2 ـ العلاقة بين الصفة وبين المخرج:[*]

إنّ الأصوات إذا كان يجمعها حيّز صوتي واحد؛ أي إنّها تشترك في مخرج واحد، فهي في هذه الحالة تضلّ بحاجة إلى أساس آخر يفرّق بين كلّ واحد منها، وبين الآخر في نطاق المخرج الواحد، وهنا يأتي دور الصفات التي تتّصف بها الأصوات، والتي تعدّ: «الأساس السمعي للتفريق بينها، وهذه الصفات نفسها تختلف من حيث الأساس الذي تنبني عليه، فقد يكون التبويب مبنيا على أساس طريقة التدخّل في مجرى الهواء الرئوي

الذي يعتبر المادة الأولى للكلام.»[6]، إذن فالعلاقة بينهما هي علاقة بين: «ذات الصوت المادية المحسوسة، وصفاته التي تشكّل الملامح المميّزة له، وخاصة إذا كانت المجموعة المعيّنة من الأصوات تنتمي إلى مخرج واحد، فعلى سبيل المثال: الأصوات {ز، س، ص} هي مجموعة الصفير، ولكن تتميّز [ز] بالجهر و[س] بالهمس و[ص] بالإطباق.»[7]

3 ـ أنواع الصفات الصوتية:

يمكن أن نقسّم الصفات الصوتية باعتبار اللُّزُومِ والعُرُوضِ إلى قسمين:

* **القسم الأول:** وهي الصفات الذاتية اللازمة للحرف: بحيث لا تنفكّ عنه مطلقا، سواء أكان ساكنا أم متحركا بأيّة حركة.

* **القسم الثاني:** الصفات العَرَضِية: وهي التي تعرض للحرف حينا وتفارقه حينا آخر.

هذا وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في عدد الصفات الذاتية، وذهبوا في ذلك مذاهب شتّى، فالصّحيح المختار عند «ابن الجزري» أنّها سبعة عشر صفة، وقد اقتفى أثره جمهور من أتى بعده من العلماء، فعدّوها سبعة عشر أيضا.

وتنقسم الصفات الذاتية بحسب التقابل وعدمه إلى قسمين: قسم له ضّد وهو خمس صفات وضدّه كذلك، وهذا هو القسم الذي يعنينا في هذا المقال، وقسم لا ضدّ له وهو سبع صفات، وها هو «ابن الجزري» يوجزها لنا في النظم التالي:[8]

صِفَاتُهَا: جَهْرٌ وَرِخْـــوٌ مُسْتَفِلْ ✤	مُنْفَتِحٌ مُصْمَتُهُ، وَالضِّـــــدَّ قُلْ
مَهْمُوسُهَا: فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَتْ ✤	شَدِيدُهَا لَفْظٌ: أَجِـــــدْ قَطٍ بَكَتْ
وَبَيْنَ رِخْوٍ وَالشَّدِيـــدِ: لِنْ عُمَرْ ✤	وَسَبْعُ عُلْوٍ: خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ حَصَرْ
وَصَادُ ضَادُ طَاءُ ظَاءُ: مُطْبَقــَهْ ✤	وَفَرَّ مِنْ لُبِّ: الحُـــــرُوفُ المذْلَقَهْ
صَفِيرُهَا: صَـــــادٌ وَزَايٌ سِينٌ ✤	قَلْقَلَةٌ: قُطْبُ جَـــــــدٍّ، وَاللَّيْنُ
وَاوٌ وَيَاءٌ سُكِّنَا، وَ انْفَتَـــــحَا ✤	قَبْلَهُمَا، وَالانْحِـــــرَافُ: صُحِّحَا
فِي اللَّامِ وَالرَّا، وَبِتَكْـــرِيرٍ جُعِلْ ✤	وَلِلتَّفَشِّي: الشِّيـــنُ، ضَادًا: اسْتَطِلْ

وفي هذا النظم إشارة إلى الصفات العامة التي يشترك فيها مجموعة من الأصوات، كما اشتمل على الصفات الخاصة بصوت دون آخر، وما يهمّنا في هذا البحث هو الصفات الصوتية المتقابلة (أي المتضادة).

تنقسم الصفات الذاتية (الثابتة) ـ كما أسلفنا ـ بحسب التقابل وعدمه إلى قسمين: قسم له ضدّ وهو خمس صفات ضدّ خمسٍ، وآخر لا ضدّ له، وهو سبع صفات.

فالصفات الخمس المتضادّة هي: الجهر وضدّه الهمس، الشدّة وضدّها الرخاوة، الاستعلاء وضدّه الاستفال، الإطباق وضدّه الانفتاح، الإذلاق وضدّه الإصمات، فتلك عشر صفات، والصفات التي لا ضدّ لها سبعة وهي: الصّفير، القلقلة، اللّين، الانحراف، التكرير، التفشّي والاستطالة.

فتكون جملة الصفات سبع عشرة صفة، وعلى هذا الأساس لا يكون التوسط بين الشدّة والرخاوة صفة ـ على الرغم من ذكرها في النظم السابق ـ وهذا هو مذهب «ابن الجزري» ومن حذا حذوه، ثمّ إنّ كلّ حرف من حروف الهجاء لا بدّ أن يتّصف بخمس صفات من العشر المتضادّة؛ وذلك بأن يأخذ صفة واحدة فقط من كلّ صفتين متضادّتين، فلا يمكن أن يأخذ الحرف صفتين متضادتين معا، كأن يكون مجهورا مهموسا في آن واحد، أمّا غير المتضادّة فقد يتّصف منها بواحدة، وقد يتّصف بصفتين، وقد لا يتّصف منها بشيء، فحينئذ لا تقلّ صفات أيّ حرف عن خمس صفات ولا تزيد عن سبع.

ثانيا: الصفات المتضادّة في العربية:

1 ـ الجهر والهمـــــس:

1 - 1: تعريفهما في اللغة:

1 - 1 - 1: الجهر لغـــــة:

ورد في «لسان العرب» في تفسير مادة «جَهَرَ»: باب الراء فصل الجيم: «الجَهْرَةُ: مَا ظَهَرَ، وَرَآهُ جَهْرَةً: لم يكن بينهما سِتْرٌ(...)، يقال: جَهَرَ بالقول: إذَا رفع به صوته فهو جَهِيرٌ (...)، وجَهَرَ الشيءَ: عَلَنَ وبَدَا (...) والجهر: العلانية (...)، وأمر مُجْهَرٌ: أي واضح بيّنٌ (...)، ورجل مِجْهَرٌ بكسر الميم: إذا كان من عادته أن يجهر بكلامه...»[9]

إذن فالجهر في اللغة: الإعلان والظهور، والصوت القويّ الشديد الوضوح.

1 - 1 - 2: الهمس لغة:

ورد في «اللسان» في تفسير مادة «هَمَسَ»: باب السّين، فصل الهاء: «الهَمْسُ: الخفيّ من الصوت والوطء والأكل (...)، ويقال: اهْمِسْ وصَهْ؛ أي امْشِ خَفِيًّا واسكت (...)، والهمس: الكلام الخفيّ لا يكاد يفهم (...). قال شَمْرٌ: الهَمْسُ من الصوت والكلام ما لا غور له في الصدر، وهو ما همس في الفم (...)، وسُمّي الأسد هَمُوسًا لأنّه يَهْمِسُ هَمْسًا؛ أي يمشي مشيًا بخُفية، فلا يُسْمَعُ صوت وطئه ...»[10]

وعليه فإنّ الهمس في معناه اللغوي يدل على الستر والخفاء في كلّ شيء.

1 - 2: تعريفهما في الاصطلاح:

يعرّفهما «ابن جنّي» بقوله: «الصوت المجهور حرف أُشْبِعَ الاعتماد في موضعه، ومُنِعَ النَفَسْ أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت، والمهموس حرف أُضْعِفَ الاعتماد في موضعه حتّى جرى معه النّفَسْ.»[11]

يتّضح من خلال هذا التعريف الذي أتى به «ابن جنّي» أنّ الأساس المعتمد في التمييز بين الجهر والهمس هو: وضع الوترين الصوتيين، ففي حالة تقاربهما أو التقائهما، فإنّ الهواء الصاعد من الرئتين عبرهما يُسهم في تذبذبهما ممّا يُصدر ذلك صوتا مسموعا، وهذا ما يقصده «ابن جنّي» بكلمة: الاعتماد، والذي لا يجري معه النَفَسْ إلّا إذا انقضى (انفراج الوترين)، أمّا إذا مرّ الهواء دون أن يحدث ذبذبة على مستوى الوترين الصوتيين نتيجة تباعدهما سُمع حينها صوت مهموس، وهذا هو المقصود بـ «ضعف الاعتماد»، والذي يسمح بجريان النفس دون عائق يكون هنالك.

1 - 3: حروفهما:

لقد اختلف القدامى والمحدثون في تحديد حروف الجهر والهمس؛ إذ جعل القدامى للجهر تسعة عشر حرفا، وللهمس عشرة أحرف. يقول «سيبويه»: «فأمّا المجهورة فالهمزة، والألف والعين والغين، والقاف والجيم والياء، والضاد واللام والنون، والراء والطاء، والدال والزاي والظاء والذال، والباء والميم والواو، فذلك تسعة عشر حرفا.»[12]

ويحدّدها «ابن جنّي» قائلا: «اعلم أنّ للحروف في اختلاف أجناسها انقسامات، فمن ذلك انقسامها في الجهر والهمس، وهي على ضربين: مجهور ومهموس، فالمهموسة عشرة أحرف وهي: الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والسين والثاء والفاء، ويجمعها في اللفظ قولك: «ستَشحثك خَصفه»، وباقي الحروف وهي تسعة عشر حرفا مجهور.»[13]

أمّا المحدثون فجعلوا للهمس اثنتي عشرة وحدة صوتية، وذلك بإضافة صوتي «الطاء» و«القاف» المجهورتان عند القدماء لتصبح الأصوات المهموسة هي: ف/ث/ت/ ط/س/ص/ش/ك/خ/ق/ح/ه/، مجموعة في قولهم: «فحثه شخص سكت» + «القاف والطاء». أمّا الأصوات المجهورة فهي: خمسة عشر وحدة صوتية بعد استبعاد حروف الهمس وهي: ب/م/ذ/ظ/د/ز/ض/ن/ل/ر/ي/ج/غ/و/ع/، ووحدة صوتية واحدة لا هي بالمجهورة ولا هي بالمهموسة وهي: «الهمزة» والتي عدّها القدامى أمثال: «سيبويه» و«ابن جنّي» من أصوات الجهر، يقول عبد القادر عبد الجليل: «لقد وصف القدامى صوت الهمزة بأنّه من الأصوات المجهورة، بناء على اعتقادهم في شدّة الحبسة الهوائية

المصاحبة لإنتاج هذا الصوت ولا حرج ولا تثريب عليهم، بيد أنّ التجارب الحديثة برهنت على أنّ صوت الهمزة من الأصوات اللامجهورة واللامهموسة.»[14]

وعليه، فإنّ الوترين الصوتيين أثناء حدوث صوت «الهمزة»، لا يكونان لا في حالة التقارب (الجهر)، ولا في حالة التباعد (الهمس)، وإنّما يتخذان وضعية وسطى.

وأصوات العربية بعضها مجهور ولا نظير له من المهموس، وبعضها مهموس ولا نظير مجهور له، والبعض الآخر أزواجٌ من مجهور ومهموس، فمن الأوّل: أصوات: الباء، الجيم، الراء، اللام، الميم، النون، الواو، الياء والظاء ومن الآخر: الشين، الصاد، الفاء، القاف، الكاف والهاء، ومن الثالث: التاء، الدال، الذال، الحاء، العين، الخاء، الغين، السين، الزاي، الضاد والطاء، وأمّا الهمزة فهي لا مهموسة ولا مجهورة.[15]

وقد تتفاوت الحروف في الجهر والهمس، «فبعض المجهورة أجهر من بعض، وبعض المهموسة أهمس من بعض والذوق يُعرّفك ذلك.»[16]

1 - 4: طرق معرفة الصوت المجهور:

ذكر «إبراهيم أنيس» ثلاث تجارب لاختبار جهر الصوت، هي:[17]

1 ـ حين نضع الأصبع فوق تفاحة آدم، ثمّ ننطق بصوت من الأصوات وهو ساكن مثل «بْ» نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين شعورا لا يحتمل الشكّ.

2 ـ وكذلك حين نضع أصابعنا في آذاننا، ثمّ ننطق بنفس الصوت وهو ساكن نحسّ برنّة الصوت في رؤوسنا.

3 ـ والتجربة الثالثة: هي أن يضع المرء كفّه فوق جبهته في أثناء نطقه بالصوت موضع الاختبار،

فيحسّ برنين الصوت، وذلك الرنين هو أثر ذبذبة الوترين الصوتيين.

2 ـ الشدّة والرخاوة:

تُصنّف أصوات العربية في التراث الصوتي العربي، وذلك بالنظر إلى درجة اعتراض الهواء (النَفَسْ الصاعد من الرئتين) إلى ثلاثة أنواع:

* **الشّديدة:** ويسمّيها كثير من المحدثين: الانفجارية، ولها تسميات أخرى نحو: الأصوات المؤقّتة أو الآنية أو اللحظية أو الوقفية ...الخ.

* **الرّخوة:** ويسمّيها كثير من المحدثين: الاحتكاكية.

* المتوسّطة: أي بين الشديدة والرخوة، وتسمّى كذلك بالبيْنِية أو المائعة أو السائلة، وفي ما يأتي تفصيلٌ في هذه الأنواع:

2 - 1: الأصوات الشّديدة/ الانفجارية:

2 - 1 - 1: تعريفها في اللغة:

ورد في تفسير مادة «شَـدَدَ»: «الشِدّةُ بالكسر: اسم من الإشداد، وبالفتح: الحَمْلَةُ في الحرب، والشَدُّ: العَدْوُ، وفي النّار: ارتفاعها، والتقوية والإيثاق، واشتَدَّ: عَدَا (...)، والشَدِيدُ: الشُعَاعُ والبخيل والأسد (...)، وأشَدُّ إِشْدَادًا: إذا كانت معه دابّة شديدة ...».[18]، وعلى هذا الأساس فإنّ كلّ شيء فيه قوّة وشجاعة ومتانة فهو شديد، وسمّيت الحرب بالشدّة لما فيها من قوّة وبسالة وشجاعة.

2 - 1 - 2: تعريفها في الاصطلاح:

عرّف «ابن جنّي» الصوت الشديد بقوله: «هو الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه»[19]، وهو المعنى نفسه الذي وجدناه عند «سيبويه»، والمقصود بهذا الكلام: أنّ اعتراض الهواء عند النطق بالأصوات الانفجارية يكون اعتراضا تامّا، بحيث لا يُسمح بمرور الهواء الصاعد من الرئتين بسبب انطباق العضوين المسؤولين عن إصدار ذلك الصوت فترة من الزمن، ثمّ بعد ذلك يحدث انفراج مفاجئ للعضوين، فيندفع الهواء المحبوس فيما دونهما بقوّة محدثا صوتا انفجاريا.

من هنا يمكن القول: إنّ الأصوات الشديدة (الانفجارية) إنّما تتكوّن من اجتماع أمرين: «فأمّا الأوّل: فهو حبس النَفَسْ الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع ما من آلة النطق، فينْضغِط الهواء خلف ذلك الموضع، والثاني: إطلاق النَفَسْ المضغوط بانفصال العضوين انفصالا سريعا، فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا.»[20]

ويمكن تلخيص هذا الكلام في الترسيمة التالية:

الحبس التام (قطع النفس) ⟵ زوال الاعتراض (العائق) ⟵ اندفاع الهواء (الانفجار)

2 - 1 - 3: حروف الانفجار:

اختلف اللغويون القدماء والمحدثون في تحديدهم لعدد الأصوات الشديدة، فبينما هي عند علماء العربية القدماء: الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، الدال، الباء والتاء مجموعة في قولهم (أجدت قطبك) أو في قولهم (أجدك قطبت)، فهي عند علماء الدرس الصوتي الحديث كما برهنت عليه التجارب المخبرية: الباء، الدال، التاء، الطاء الضاد، الكاف، القاف والهمزة[21]؛ أي إنّها نفسها مع بعض الفروق؛ فـ«الجيم» مثلا عند القدماء صوت شديد، أمّا عند المحدثين فهي من الأصوات المتوسطة، وصوت «الضاد» عند القدماء رخو، أمّا عند المحدثين فشديد.

ويوضّح «عبد القادر عبد الجليل» موضع الاعتراض في الأصوات الانفجارية كما يلي:[22]

* الشفتان: حيث تنطبق بشكل تام، وفيهما ينتج صوت «الباء».

* الأسنان العليا ومقدّمة اللثة: حين التقاء طرف اللسان بها، وفي هذا الموضع تتكوّن الأصوات: «التاء»، «الدال»، «الضاد» و«الطاء».

* أقصى الحنك الأعلى (السقف العلوي للفم) حين يلتقي به أقصى اللسان، وعند هذا الموضع يتكوّن صوت «الكاف».

* أدنى الحلق مع اللهاة: حين يلتقي بها أقصى اللسان، وفي هذا الموضع يتكوّن صوت «القاف».

* الحنجرة (انطباق الوترين الصوتيين)، وعند هذا الموضع تتولّد «الهمزة» القطعية.

2-1-4: الطريقة العملية لمعرفة الصوت الانفجاري:

يقدّم الباحث «محمود عكاشة» في كتابه «أصوات اللغة» الكيفية التي نتمكّن من خلالها معرفة الصوت الانفجاري، وتمييزه عن الصوت الاحتكاكي، ويكون ذلك: «بوضع وُريقة في الكفّ، ثمّ تقريبها من الفم، ثمّ النطق مثلا بكلمة «تكلّم»، حينها ستلاحظ أنّ الوُريقة تحرّكت قليلا بسبب نفخة الهواء التي صاحبت نطق صوت «الكاف» في الكلمة السابقة.»[23]

2 - 2: الأصوات الرخوة / الاحتكاكية:

2 - 2 - 1: تعريفها في اللغة:

ورد في «المعجم الوسيط» في بيان تفسير مادة «رَخَوَ»: «رَخَا العيش وغيره رَخَاءً: اتّسع فهو رَخْوٌ (...) الرَخَاءُ: سعة العيش وحسن الحال (...)، وَالرُّخَاءُ: الريح اللّيّنة (...)، والرّخو: الهشّ اللّيّن من كلّ شيء ...»[24]

إذن فالرخاوة في اللغة تحيل على معنى: الليونة والهشاشة والرطوبة.

2 - 2 - 2: تعريفها في الاصطلاح:

في المقابل عرّف «ابن جنّي» الصوت الرخو بقوله: «هو الذي يجري فيه الصوت ...»[25]

ويفهم من خلال هذا التعريف أنّ الصوت الذي يوصف بالرخاوة، أو كما يسمّى كذلك بالاحتكاك، أنّ النَفَسْ فيه يكون مستمرا دون انقطاع لعدم وجود اعتراض تام له (أي اعتراضه جزئي) في موضع النطق، ممّا يُسمح بالقول: إنّ الأصوات الاحتكاكية

إنّما تتشكّل بأن يُضَيَّقَ مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع، ويمرّ من خلال منفذ ضيّق نسبيا، محدثا في خروجه احتكاكا جانبيا مسموعا.

2 - 2 - 3: حروف الاحتكاك:

اختلف اللغويون في الحروف الاحتكاكية شأنهم في ذلك شأن اختلافهم في الحروف الانفجارية، فقد اتّفقوا في عددها واختلفوا في بعض الحروف، ولاسيما «العين» و«الضاد»؛ إذ استبعد القدامى صوت «العين» لأنّهم وصفوه بالتوسّط، فهو بهذا عند علماء الدرس الصوتي القديم بين الشدّة والرخاوة، يقول «سيبويه»: «... وأمّا العين فبين الرّخوة والشديدة، تصل إلى التردّد فيها لِشَبَهَا بالحَاء.»[26]

ويشاطره الرأي «أبو عمرو الداني»، حيث نجده يذهب مذهب «سيبويه» في تصنيفه للأصوات الرخوة مستبعدا صوت العين، يقول: «الأصوات الرخوة ثلاثة عشر صوتا يجمعها قولك: خس حظ شص هز ضغث فذ.»[27]

وإلى الاتجاه نفسه يذهب «إبراهيم أنيس» على الرغم من أنّه من الباحثين المحدثين، فقد رتّب في كتابه «الأصوات اللغوية»: الأصوات الاحتكاكية حسب درجة رخاوتها مستبعدا في ترتيبه صوت «العين»، يقول: «والأصوات الرخوة في اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة مرتّبة حسب نسبة رخاوتها: س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف، ه، ح، خ، غ.»[28]

غير أنّ «إبراهيم أنيس» قد استبعد صوت «الضاد» من حروف الاحتكاك، لأنّ «الضاد» صوت انفجاري في المنظور الحديث، في حين أنّه صوت رخو عند القدامى فيكون بهذا قد حصر الأصوات الاحتكاكية في «اثني عشر» صوتا، متفقا مع القدامى في استبعاده لصوت «العين»، ومختلفا معهم ـ في الوقت ذاته ـ في استبعاده لصوت «الضاد».

وفي العموم، فإنّ الأصوات الاحتكاكية في الدرس الصوتي الحديث: ثلاثة عشر صوتا وهي: ف/ذ/ث/ظ/ز/س/ص/ش/خ/غ/ع/ح/ه/، وذلك باستبعاد صوت «الضاد» الانفجاري، وإضافة صوت «العين» الاحتكاكي.

2 - 3: الأصوات المتوسّطة / المائعة:

يعرّف «صلاح صالح سيف» التوسط فيقول: «اعتدال جريان الصوت مع الحرف بعدم انحباسه، وهو بين الشدّة والرخاوة؛ أي فلا ينحبس الصوت كما في الشدّة، ولا يجري كجريانه في الرخاوة.»[29]

وقد حصر علماء الأصوات المحدثين أصوات التوسط في أربعة وهي: (اللام والنون والميم والراء)، وأضاف إليها القدامى صوت «العين»، وعدّوه صوتا متوسطا أيضا.

ويمكن أن نقسّم الأصوات المائعة بحسب طريقة خروجها، والأعضاء المشاركة في تشكيلها إلى ثلاثة أقسام هي:[30]

1 ـ الأصوات الجانبية أو المنحرفة أو الحافية، ويمثّل هذا القسم في العربية صوت: «اللام».

2 ـ الأصوات المكرّرة أو التردّدية، ويمثّل العربية الفصحى في هذه المجموعة صوت: «الراء».

3 ـ الأصوات الأنفية أو الغنّاء: ويمثّل صوتا «الميم» و«النون» العربيتين هذه المجموعة الصوتية.

ونختم هاتين الصفتين بقول «ابن الجزري»، الذي يجمع فيه بين الأصوات الشديدة والأصوات الرخوة والأصوات المتوسّطة، فيقول: «والمتوسطة بين الشدّة والرخاوة خمسة يجمعها قولك: «لن عمر»، وأضاف بعضهم إليها «الياء» و«الواو» والمهموسة كلّها غير التاء والكاف رخوة، والمجهورة الرخوة خمسة: الغين والضاد والظاء والذال المعجمات والراء، والمجهورة الشديدة يجمعها قولك: «طبق أجد.»[31]

3 ـ الإطباق والانفتاح:

3-1: الإطباق:

3-1-1: تعريفه في اللغة:

ورد في تفسير مادة «طَبَقَ»: «الطَّبقُ: غطاء كلّ شيء، والجمع أطباق، وقد أَطْبَقَهُ وطَبَّقَهُ فانْطَبَقَ وتَطَبَّقَ: غطّاه وجعله مُطَبَّقًا (...)، والطَّبَقُ: كلّ غطاء لازم على الشيء (...)، والسموات الطِّبَاقُ: سمّيت بذلك لمطابقة بعضها بعضا؛ أي بعضها فوق بعض، وقيل لأنّ بعضها مُطْبَقٌ على بعض (...) وطَبَّقَ الغيث الأرض: ملأها وعمّها ...».(32)

وعليه فإنّ الإطباق في اللغة يعني الإلصاق.

3-1-2: تعريفه في الاصطلاح:

يقول «ابن جنّي» في الإطباق: «أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطْبقا له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا وَلَخَرَجَتْ الضاد من الكلام؛ لأنّه ليس من موضعها شيء غيرها تزول الضاد إذا عدمت الإطباق إليه.»[33]

إذن، فالإطباق صفة من الصفات المميّزة بين الأصوات التي تشترك في أكثر من صفة، فلولا الإطباق مثلا لكانت «الطاء» «دالا» لاشتراكهما في الجهر والشدّة والإصمات

والقلقلة، وقس على ذلك مع باقي أصوات الإطباق.

وقد شاع عند الدارسين المحدثين أنّ الإطباق هو: «ارتفاع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك وتقعّر وسط اللسان»[34]، أو هو: «ظاهرة يرتفع فيها مؤخّر اللسان إلى الحنك الأعلى، آخذا شكلا مقعّرا ممّا يزيد من حجم تجويف الفم، ويضيّق من حجم تجويف الحلق أثناء إخراج الصوت فيسمع الصوت مفخّما، والأصوات المطبقة أربعة هي: الصاد والضاد والطاء والظاء.»[35]

يتبيّن لنا من خلال هذه التعريفات التي سقنـــــــاها، أنّه لا خلاف بين قدامى الصوتيين والمحدثين في الأصوات المطبقة عددا وحروفا.

يشير فوزي الشايب إلى أيّ الأصوات المطبقة أطبق من الأخرى، فيقول: «الطاء أقوى الأصوات المطبقة إطباقا، وذلك بسبب انطباق اللسان على الحنك انطباقا تاما، تليها في قوّة الإطباق الضاد، ثمّ الصاد، وتأتي الظاء في آخر القائمة، فهي أضعف الأربعة إطباقا.»[36]

وتجدر الإشارة ههنا إلى نقطة مهمّة، وهي أنّ المقصود بالإطباق غير الطبق، فمصطلح الإطباق يختلف في معناه عن مصطلح الطبق؛ إذ أنّ: «الأوّل يشير إلى الصفة التي تحدثنا عنها، والثاني يشير إلى المخرج وهو الجزء الليّن من الحنك الأعلى، حيث مخرج «الكاف» و«الغين» و«الخاء»، فهذه الأصوات هي أصوات طبقية، ولكنّها ليست مطبقة.»[37]

فـ: «الغين» مثلا في الفصحى صوت طبقي؛ بمعنى أنّ مخرجها من منطقة الطبق ولكنّه ليس صوت مطبق، على عكس «الطاء» مثلا الذي هو صوت مطبق، ولكنّه ليس صوتا طبقيا.

3 - 2: الانفتـاح:

3 - 2 - 1: تعريفه في اللغة:

ورد في تفسير مادة «فَتَحَ»: «فَتَحَ بين الخصمين فَتْحًا: قضَى (...)، يُقال: فَتَحَ على القارئ: لَقَّنَهُ ما نسيه فقرأه، والمغلق: أزال إغلاقه (...)، وانْفَتَحَ الباب مُطَاوِعُ فَتَحَهُ، والشَيءَ عن الشَيءِ: انكشف عنه (...)، واسْتَفْتَحَ الباب: فتحه وطلب فتحه، والفَتَاحَةُ: النُّصْرَةُ، والفَتَّاحُ: اسم من أسمائه تعالى ...»[38]
وعليه فإنّ الانفتاح في كلّ شيء: الافتراق.

3 - 2 - 2: تعريفه في الاصطلاح:

يعرّفه «سيبويه» فيقول: «كلّ ما سِوى ذلك من الحروف، لأنّك لا تُطْبِقُ لشَيءٍ مِنْهُنَّ لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى».[39]، والمقصود بـ: «كلّ ما سوى ذلك من الحروف»: أنّ حروف الانفتاح هي جميع حروف الهجاء المتبقّية، بعد استبعاد حروف الإطباق الأربعة المذكورة سابقا، لأنّك أثناء النطق بهذه الأصوات يتجافى اللسان عن الحنك ويتحاشاه فلا ينطبق عليه، تاركا المجال للهواء الصاعد ـ من الرئتين ـ منفتحا دون اعتراض تام، وعليه فإنّ الانفتاح هو: «عدم انحصار الصوت بين وسط اللسان والحنك عند النطق بالحرف لانفتاح ما بينهما، سواء انطبق الحنك على أقصى اللسان أم لا، وحروفه كلّ ما عدا الأربعة المطبقة، وكلّ حروف الاستفالة منفتحة.»[40]

ويجمعها «محمّد عصام مفلح القضاة» في التركيب التالي: «من أخذ وجد سعة فزكا حق له شُرب غيث.»[41]

4 ـ الاستعلاء والاستفال:

4 - 1: الاستعـــــــــلاء:

4 - 1-1: تعريفه في اللغة:

ورد في تفسير مادة «عَلَوَ»: «عَلَا الشيء عُلُوًّا: ارتفع فهو عالٍ وَعَلِيٌّ (...)، ويقال: عَلَا فلان في الأرض: تكبّر وتجبّر (...)، وعَلَّى الشيء: رفعه وجعله عاليا، واعْتَلَى الشيء: ارتفع (...)، واسْتَعْلَى النهار: ارتفع، وفلان تدرّج في الارتفاع (...)، والعُلَا: الرفعة والشرف (...) وعَلَّى الكتاب: عنونه، ...»[42]

فالاستعلاء في معناه اللغوي هو الارتفاع والسّموّ.

4 - 1-2: تعريفه في الاصطلاح:

عرّف «ابن جنّي» الاستعلاء قائلا: «أن تتصعّد في الحنك الأعلى فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وأمّا الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها، والحروف المستعلية على هذا سبعة وهي: الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء، وما عدا هذه الحروف فمنخفض.»[43]

وهذا تعريف مفصّل لصفتين متضادتين هما: الاستعلاء والاستفال، حيث بيّن «ابن جنّي» فيه: وضعية وطبيعة اللسان أثناء النطق بالأحرف السبعة المستعلية، وطبيعته أثناء النطق ببقيّة الحروف الذي أطلق عليها مصطلح «الانخفاض» ويعني بذلك ما يعرف بالاستفال، كما أشار «ابن جنّي» في هذا التعريف إلى طبيعة العلاقة القائمة بين الإطباق والاستعلاء، وهي علاقة عموم وخصوص؛ ذلك أنّ كلّ مطبق مستعلٍ،

وليس كلّ مستعلٍ مطبق، إذن فالاستعلاء عام وواسع يشمل الإطباق، والإطباق أخصّ منه (علاقة احتواء).

ويقدّم لنا الشيخ «محمّد خليل الحصري» تفريقا آخر بين الإطباق و الاستعلاء، فيقول: «الاستعلاء ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى، وحروفه سبعة جُمعت في قولهم» خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ»[**]»[44]؛ فكلاهما فيه ارتفاع، غير أنّ الإطباق أبلغ من الاستعلاء، لأنّ اللسان معه يرتفع إلى الحنك الأعلى حتّى ينطبق عليه كلّه أو جزؤه، في حين أنّ الاستعلاء فيه ارتفاع للسان دون أن ينطبق على الحنك الأعلى.

ويحدّد «ابن الجزري» أقوى الحروف استعلاء وأضعفها استفالا فيقول: «وهي حروف التفخيم على الصواب، وأعلاها الطاء، كما أنّ أسفل المستفلة الياء، وقيل حروف التفخيم هي حروف الإطباق، ولا شكّ أنّها أقواها تفخيما»[45]، ويبدو أنّ «محمّد بن إبراهيم الحمد» وهو من المحدثين يخالف «ابن الجزري» في أشدّ الحروف استعلاء، حيث يقول: «الاستعلاء هو أن يستعلي اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى، وحروفه سبعة (خ ص ض غ ط ق ظ) وأشدّها استعلاء القاف.»[46]

بيد أنّ «ابن الجزري» في مذهبه هذا ـ حسب ما أراه ـ كان أكثر حجّة وإقناعا من مذهب «محمّد بن إبراهيم الحمد»؛ بمعنى أنّ «الطاء» هي أشدّ الحروف استعلاء من غيرها، وذلك لأنّها من حروف الإطباق، بل وهي في مقدّمة حروف الإطباق لشدّة التصاقها بسقف الحنك، هذا فضلا عن كونها مستعلية، فقد جمعت صفتين قويتين في الوقت ذاته، في حين أنّ «القاف» هي حرف مستعل ولا إطباق فيه.

4 - 2: الاستفال:

4 - 2-1: تعريفه في اللغة:

ورد في تفسير مادة «سَفَلَ»: «سَفَلَ سُفُولًا وسَفَالًا وسُفَالَةً: ضدّ عَلَا، ويقال: سَفَلَ في الشيء: نزل من أعلاه إلى أسفله، وسَفَلَ في علمه وخُلُقِهِ: قَلَّ حَظُّهُ فيه، فهو سافل (...) سَفُلَ سُفَالَةً: خَسَّ ونَذُلَ، وسَفَّلَهُ: خَفَضَهُ وأرسله من أسفل، وتَسَفَّلَ: انْحَطَّ،...»[47]، فالاستفال في اللغة بمعنى: الانخفاض.

4 - 2-2: تعريفه في الاصطلاح:

يعرّفه الشيخ «محمود خليل الحصري» قائلا: «هو انخفاض اللسان عند خروج الحرف عن الحنك إلى قاع الفم وحروفه اثنان وعشرون حرفا، وهي ماعدا حروف الاستعلاء السبعة.»[48]

إذن فالفرق بين الاستعلاء والاستفال جليٌّ وواضح، فالتباين بينهما قائم على ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف أو انخفاضه، فما ارتفع اللسان معه فهو مستعلٍ، وما انخفض معه فمستفل. ونشير هنا إلى أنّه إذا كان الاستعلاء أعمّ من الإطباق، فإنّ الانفتاح أعمّ من الاستفال؛ ذلك أنّ كلّ مستفل منفتح، وليس كلّ منفتح مستفل، لأنّ «القاف» و«الغين» و«الخاء» مثلا منفتحة، ولكنّها مستعلية (غير مستفلة).

5 ـ الإذلاق والإصمات:

5 - 1: الإذلاق:

5 - 1-1: تعريفه في اللغة:

ورد في «لسان العرب» في تفسير مادة «ذَلَقَ»؛ باب القاف فصل الذال: «الذَّلَقُ: حِدَّةُ الشَيء، وَحَدُّ كلّ شيء ذَلْقُهُ، وذَلْقُ كلّ شيء: حدّه (...)، والذَّلِيقُ: الفصيح اللسان (...)، وذَلَقُ كلّ شيء وذَوْلَقُهُ: طرفه ...»[49]
فالإذلاق في اللغة إذن: الطرف والحدّ.

5 - 1-2: تعريفه في الاصطلاح:

يُعَرّفُ «الإذْلاق» بأنّه: «سرعة النطق بالحرف بسهولة ويسر لخروجه من طرف اللسان والشفاة، أو هو الاعتماد على ذلق اللسان والشفة، أو هو خروج الحرف بسهولة ويسر.»[50]

إذن فالإذلاق: هو الخفّة في الكلام به بسهولة ويسر، من غير تكلفة أو ثقل يكون هنالك.

5-1-3: حروف الإذلاق:

حروف الإذلاق ستّة جمعها العلماء في قولهم: «فر من لب»، يقول «ابن جنّي»: «... ومنها حروف الذلاقة وهي ستة: اللام والراء والنون والفاء والباء والميم، لأنّه يُعْتَمَدُ عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه.»[51]

وهذه الحروف الستّة يقال لها كذلك: «الحروف الذلق بضمّ الذال وسكون اللام، وكذلك الحروف المذلقة، وإنّما سمّيت هذه الحروف بالذلاقة لخروج بعضها من ذلق اللسان، وبعضها من ذلق الشفتين.»[52]

فـ «الفاء» و«الميم» و«الباء» مخرجها من ذلق الشفة، في حين أنّ «الراء» و«النون» و«اللام» من ذلق اللسان، ويؤكّد هذا «حسام سعيد النعيمي» حينما عقّب على قول «ابن جنّي» السابق، وذلك عندما صرّح بأنّ حروف الإذلاق المذكورة سابقا

إنّما سمّيت كذلك لأنّه يُعْتَمَدُ عليها بذلق اللسان، فيقول: «وواضح أنّ ثلاثة منها يُعْتَمَدُ عليها حقّا بطرف اللسان، أمّا الثلاثة الباقية فهي حروف شفوية لا شأن لطرف اللسان على الإطلاق في إخراجها، ويبعد عندي أن يكون «ابن جنّي» قد غفل عن هذا، وأرى أنّه أراد التغليب؛ فكأنّهم حين وجدوا اللام والراء والنون من طرف اللسان جعلوا الاسم لها، وضمّوا إليها الفاء والميم والباء، أمّا لِمَ غَلَبُوا ذلق اللسان على الشفّة في التسمية، فيبدو لي أنّ معنى الذلاقة في الأصل هو الذي دعا إلى ذلك، فقد جاء في «اللّسان»، إنّما سمّيت هذه الحروف ذلقا لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين، وهما مدرجتا هذه الحروف الستّة.»[53]

لا يجوز الخلط بين الأحرف الذلقية مخرجا، والمذلقة صفة؛ فالأولى: لا تخرج إلّا من ذلق اللّسان، أمّا الأخرى: فمنها ما يخرج من ذلق اللسان، ومنها ما يخرج من ذلق الشفّة كما ذكرنا، ففي «صفة الذلاقة شمول وعموم، وفي مخرج الذلاقة تضيق وتحديد، والاتفاق في الاسم لا يوقع في اللبس عند التفرقة بين الصفة والمخرج».(54)

5 - 2: الإصمات:

5 - 2-1: الإصمات في اللغة:

ورد في «القاموس المحيط» في تفسير مادة: «صَمَتَ» باب التاء فصل الصاد: «الصَّمْتُ والصُّمُوتُ والصُّمَاتُ: السّكوت، كالإصمات والتَّصْمِيتُ، ورماه بِصُمَاتِهِ؛ أي بما صَمَتَ منه (...)، والمصْمَتُ: الذي لا جوف له، وباب وقُفْلٌ مُصْمَتٌ: مُبْهَمٌ (...)، وثوب مُصْمَتٌ: لا يخالط لونه لونٌ...»[55]

فالإصمات في اللغة: المنع، يقال: صمت فلان؛ أي سكت ومنع نفسه من الكلام ...

5 - 2-2: الإصمات في الاصطلاح:

هو: «ثقل الحرف عند النطق به لخروجه بعيدا عن طرف اللسان والشفتين، أو هو امتناع الحروف المصمتة عن أن تختصّ ببناء كلمة في لغة العرب، وحروفه اثنان وعشرون حرفا، وهي الحروف المتبقّية من حروف الهجاء بعد استبعاد حروف الإذلاق.»[56]

يُفهم من خلال هذا التعريف أنّه لا توجد في العربية كلمات مكوّنة من أربعة أو خمسة أحرف أصلية جميع حروفها مصمتة، بل لابدّ أن يكون فيها حرف أو أكثر من حروف الذلاقة، وإلّا فذلك دليل قاطع على عجمتها في الغالب، وأنّها كلمة دخيلة على العربية وليست منها، يقول ابن جنّي: «... فمتى وَجَدْتَ كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من بعض هذه الأحرف الستّة ـ أي المذلقة ـ فاقض بأنّه دخيل في كلام العرب، وليس

منه (...) مثل: العَسْجَدْ ...»[57]، ويضيف «مصطفى رجب» سببا مقنعا يمنع تركيب كلمة عربية من الأصوات المصمتة فقط دون المذلقة، فيقول: «وعلّة ذلك أنّ حروف الإصمات صعبة على اللسان، وحروف الإذلاق سهلة عليه، فمنعوا انفراد حروف الإصمات واشترطوا أن يكون معها حرف أو أكثر من حروف الإذلاق لتعادل خفّة المذلق ثقل الصمت.»[58]

خاتمة البحث:

نصل في نهاية المطاف إلى استخلاص جملة من النتائج، يمكن رصد أبرزها في النقاط التالية:

- تمثّل الصفة الصوتية المعيار المعوّل عليه في التفريق بين الأصوات التي اشتركت في نفس المخرج النطقي.

- الصفات الصوتية صنفان: ذاتية، وهي لازمة في الأصوات سواء أكانت مستقلة أم متّصلة (داخل التركيب والسياق)، وعرضية غير ثابتة في الصوت، بحيث تعرض للصوت حينا وتنفك عنه حينا آخر بسبب التجاور الصوتي، تماما كما هو الحال مع أحكام النون الساكنة والتنوين (الإظهار، الإدغام، الإقلاب، الإخفاء)، وأحكام الميم الساكنة (الإظهار الشفوي، الإدغام الشفوي، الإخفاء الشفوي)، وكذا صفتي التفخيم والترقيق، ...الخ.

- يتمّ تشكيل الصفات الصوتية عموما بواسطة ثلاث آليات نطقية هي: ذبذبة الوترين الصوتيين، انفتاح المخرج أو انغلاقه، حركة اللسان ووضعيته داخل الفم. فبالنسبة إلى الوترين الصوتيين فإنّهما يتحكّمان في إنتاج صفتي الجهر والهمس، فأثناء تقاربهما يتذبذبان محدثان صفة الجهر، وخلال تباعدهما لا يتذبذبان فتنتج صفة الهمس. أمّا بالنسبة للآلية الثانية، فمن خلالها تنتج الشدّة والرخاوة؛ فأثناء الانطباق التام للعضوين المسؤولين عن إصدار الصوت ثمّ انفراجهما فجأة يحدث الانفجار، وحينما يكون اعتراض جزئي للهواء نتيجة انفتاح نسبي للمخرج ينتج الاحتكاك، أمّا في حالة ما إذا كان هنالك توسّط واعتدال في درجة الانغلاق والانفتاح على مستوى المخرج تشكّلت الأصوات البينية المائعة، وفيم يتعلّق بالآلية الثالثة والمتمثّلة في حركة اللسان ووضعيته داخل الفم فإنّ ذلك مسؤول عن إنتاج عدّة صفات متضادة منها: الإطباق والانفتاح، الاستعلاء والاستفال، التفخيم والترقيق وغيرها، فإذا ارتفع اللسان نحو الحنك الأعلى دون أن ينطبق عليه تشكّل الاستعلاء، أمّا إذا اتّصل به حدث الإطباق، بينما إذا تحاشى اللسان الحنك ولم ينطبق عليه نتج الانفتاح، وفي حالة ما إذا انخفض عن الحنك إلى

قاع الفم نتجت صفة الاستفال.

- الصفات المتضادة منها ما هو قويّ ومنها ما هو ضعيف ومنها ما هو بينهما، فالقويّة منها أربعة أزواج هي: الجهر، الشدّة، الاستعلاء والإطباق، أمّا الضعيفة فأربعة أزواج أيضا هي: الهمس، الرخاوة، الاستفال والانفتاح، أمّا الإذلاق والإصمات ومعهما التوسط فلا توصف بالضعف ولا بالقوّة وإنّما هي بينية، ثمّ إنّ الصوت إذا كانت صفات القوة فيه أكثر من صفات الضعف كان قويا كالراء مثلا، وإذا كانت صفاته كلها قوية كان أقوى، وأقوى الحروف كلها الطاء، أمّا إذا كانت صفات الضعف فيه أكثر كان ضعيفا كالزاي مثلا، بينما إذا كانت صفاته كلها ضعيفة كان أضعف، وأضعف الحروف الهاء وحروف المد الثلاثة، وإذا كانت صفات القوة فيه متساوية مع صفات الضعف كان متوسطا كاللام مثلا.

- إنّ الحرص على إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، وإعطائها الصفة المناسبة من شأنه أن يقوّم النطق، ويعالج العيوب، لتكون النتيجة: لغة فصيحة سليمة خالية من كلّ ما يمكن أن يُحْدِث النشاز والنفور الصوتي.

- تكتسي الصفة الصوتية أهمّية بالغة، ويكفي دليلا على ذلك أنّ كتابنا المقدّس أُنزل مرتّلا مجوّدا، يحرص قارئه على إعطاء الحروف فيه حقّها ومستحقّها.

الهوامش والإحالات:

(1) عمر بن أبي ربيعة، الديوان، دط، دار القلم، بيروت، لبنان، دس، ص: 53.

(2) ينظر: الجاحظ؛ أبو عثمان بن بحر، البيان والتبيين، مج1، ج1، تح: موفّق شهاب الدّين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ /2003م، ص: 32.

(3) محمّد كريم الكوّاز، الفصاحة في العربية المفاهيم والأصول، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 1427هـ /2006م، ص: 143.

(4) مصطفى رجب، دراســــــــات لغوية، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دب، 1429هـ/2008م، ص: 254.

(5) غانم قدّوري الحمد، ظواهر لغوية في القراءات القرآنية، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1427هـ/2006م، ص: 9.

*. ويعرّفه «محمّد البرازي» قائلا: «هو موضع النطق أين يكون فيه انحباس الهواء وحجزه عن المرور كلّيًا أو جزئيًا بأحد الحواجز الموجودة في الحلق أو الفم كاللهاة أو اللسان أو الشفتين». مجد محمّد الباكير البرازي، فقه اللغة العربية، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1407هـ/ 1987م، ص44. و يمكن معرفة مخرج الحرف بالنطق به:«ساكنا أو مشدّدا، مع إدخال الهمزة عليه، فحيث ينقطع الصوت فتمّ مخرج الحرف». محمّد عصام

مفلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، ط3، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1418هـ/1998م، ص: 29.

(6) تمّام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط3، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1418هـ /1998م، ص ص: 68-67.

(7) صبري المتولّي، دراسات صوتية في تجويـــد الآيات القرآنية، دط، زهراء الشرق، القاهرة، مصـــــــــــــــر، 1429هـ/2008م، ص: 83.

(8) ابن الجزري؛ أبو الخير محمّد بن محمّد بن محمّد بن علي بن يوسف الدمشقي، منظومة المقدّمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، تح: أيمن رشدي سويد، ط4، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، جدّة، السعودية، 1427هـ/2006م، ص ص: 2 - 3.

(9) ابن منظور؛ أبو الفضل جمال الدّين محمّد الأنصاري الإفريقي المصري، لسان العرب، مج3، تح: عامر أحمد حيدر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، مادة جَهَرَ.

(10) المرجع نفسه، مج4، مادة هَمَسَ.

(11) ابن جنّي؛ أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، ج1، تح: حسن هنداوي، ط2، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1413هـ /1993م، ص: 60.

(12) سيبويه؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمّد هارون، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ودار الرفاعي، الرياض، السعودية، 1402هـ/1982م، ص: 434.

(13) ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 60.

(14) عبد القادر عبد الجليل، الأصـــــوات اللغوية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1418هـ/ 1998م، ص: 125.

(15) المرجع نفســــــــــــه، ص: 123.

(16) الشيرازي؛ نصر بن علي بن محمّد أبو عبد الله الفارسي النحوي (ابن أبي مريم)، الموضّح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر حمدان الكبيسي، إشراف: عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في فرع اللغة، جامعة أم القرى، السعودية، 1408هـ/1987م، ص: 172.

(17) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دط، مكتبة نهضة مصر، مصر، دس، ص ص: 21 - 22.

(18) الفيروز آبادي؛ مجد الدّين محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1428هـ /2007م، مادة شَدَدَ .

(19) ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 60.

(20) غانم قدّوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، ط1، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمـــــــــــان، الأردن، 1425هـ/ 2004م، ص: 108.

(21) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 150.

(22) المرجع نفسه، ص: 143.
(23) محمود عكاشة، أصوات اللغة (دراسة في الأصوات ومخارجها وصفاتها وتماثلها)، ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 1426هـ /2005م، ص: 100.
(24) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 1426هـ /2005م، مـــــــــــــادة رَخَوَ/ رَخَا.
(25) ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 62.
(26) سيبويه، الكتـــــــــــاب، ج4، ص: 435.
(27) الدّاني؛ أبو عمرو بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدّوري الحمد، ط1، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 1421هـ/ 2000م، ص: 106.
(28) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 26.
(29) صلاح صالح سيـــــف، العقد المفيد في علم التجويد، ط1، المكتبة الإسلامية، عمّان، الأردن، 1408هـ/ 1987م، ص: 69.
(30) ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص ص: 145 - 146.
(31) ابن الجزري؛ أبو الخير محمّد بن محمّد بن محمّد بن علي بن يوسف الدمشقي، النشر في القراءات العشر، ج1، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دس، ص: 202.
(32) ابن منظور، لسان العـرب، مج5، مادة طَبَقَ.
(33) ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 61.
(34) محمود فهمي حجازي، المدخل إلى علم اللغة، دط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصـــــــــــــــر، دس، ص: 58.
(35) وفاء كامل فايد، الباب الصرفي وصفات الأصوات دراسة في الفعل الثلاثي المضعّف، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1422هـ/2001م ص ص: 18 - 19.
(36) فوزي الشّايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربـــد، الأردن، 1425هـ/2004م، ص: 72.
(37) غانم قدّوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، ص ص: 116 - 117.
(38) مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مادة فَتَحَ.
(39) سيبويه، الكتـــــــــــاب، ج4، ص: 437.
(40) محمّد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياه، ط1، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعوديـــــة، 1426هـ/2005م، ص: 111.
(41) محمّد عصام مفلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، ص: 47.
(42) مجمع اللغة العربيـــــــــة، معجم الوسيط، مادة عَلَا (عَلَوَ).
(43) ابن جنّي، سر صناعة الإعـــــــــــــــراب، ج1، ص62.
** «خُصَّ»: البيت من القصب، «ضَغْطٍ»: ضيق، «قِظْ»: فعل أمر من قاظ بالمكان: إذا أقام فيه؛ والمراد: اقنع من الدنيا بمثل ذلك، ولا تغترّ بزخارفها. الحصري؛ محمود خليل، أحكام

قراءة القرآن الكريم، ط4، دار البشائر الإسلامية، دب، 1999م، ص: 90.
(44) المرجع نفسه، ص ن.
(45) ابن الجزري، النشر في القراءات العشـــــــــــر، ج1، ص ص: 202 - 203.
(46) محمّد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياه، ص: 111.
(47) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة «سَفَلَ».
(48) الحصري، أحكام قـــــراءة القرآن الكريم، ص: 91.
(49) ابن منظور، لســـــــان العرب، مج5، مادة «ذَلَقَ».
(50) السيّد أحمد عبد الغفّار، الكلمة العربية كتابتها ونطقها، ج2، ط2، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصـــــــر، 1426ه/2006م، ص: 24.
(51) ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 64.
(52) مصطفى رجب، دراســـات لغوية، ص: 259.
(53) حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي، دط، دار الرشيد للنشر، العـــــراق، 1400ه/1980م، ص: 323.
(54) صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللغة، ط3، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، 1430ه/ 2009م، ص ص: 283 - 284.
(55) الفيروز آبادي، القامـــــــــــــــوس المحيط، مادة «صَمَتَ»
(56) السيّد أحمد عبد الغفّار، الكلمة العربية كتابتها ونطقها، ج2، ص: 24.
(57) ابن جنّي، سر صناعـــــــــــــة الإعراب، ج1، ص ص: 64 - 65.
(58) مصطفى رجب، دراســـــــــــــــــات لغوية، ص: 259.